المدرسة القيروانية وملامح الصراع العقدي
في عهد الأغالبة والعبيديين

محمد ايت الفقيه

طالب باحث في سلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق – الدار البيضاء

تكوين الدكتوراه: الاختلاف العقدي عند علماء الغرب الإسلامي وأثره على الفرد والمجتمع

مختبر التكامل المعرفي

cahrif.reda@gmail.com

المملكة المغربية

الملخص:

يبرز المقال الدور المركزي للمدرسة القيروانية باعتبارها حصنًا للعقيدة السنية المالكية في الغرب الإسلامي منذ تأسيس القيروان، التي كانت نقطة إشعاع علمي وديني امتد تأثيره نحو المغرب والأندلس. يوضح الكاتب أن علماء القيروان لم يكتفوا بالفقه العملي، بل تولّوا أيضًا الدفاع المنهجي عن أصول الاعتقاد السني ضد المذاهب المنافسة كالاعتزال والتشيع والخوارج، من خلال مناظرات علمية منضبطة لا فوضى عقدية. ويُدافع المقال عن المالكية ضد تهمة "التشدد"، معتبرًا أن صرامتهم كانت مقصودة لحماية العامة من الانحراف، إذ لم يكن يُسمح بالخوض في مسائل العقيدة إلا للراسخين المؤهلين للرد. ويبرز النص مكانة ابن أبي زيد القيرواني، الذي صاغ في "الرسالة" خلاصة العقيدة السنية في قالب موجز راسخ في المرجعية المالكية، مع تحصين الغرب الإسلامي من التأثيرات الكلامية المشرقية. ثم ينتقل المقال لوصف السجال العقدي في عهد الأغالبة ذوي الميول الاعتزالية، حيث دارت مناظرات حول قضايا مثل خلق القرآن ورؤية الله، أحيانًا تحت ضغط سياسي بلغ التعنيف والامتحان. وبعد سقوط الأغالبة وقيام الدولة العبيدية (الفاطمية) ذات العقيدة الشيعية الإسماعيلية، احتدّ الصراع لأن الخلاف العقدي أصبح مرتبطًا بشرعية الحكم نفسها، خاصة في مسألة الإمامة والعصمة. وينتهي المقال إلى خلاصة أساسية: رغم تغيّر الدول وتعدد الضغوط، بقيت العقيدة السنية المالكية هي المرجع الشعبي الغالب في القيروان وإفريقية بفضل ثبات علمائها وتعليمهم المستمر.

الكلمات المفاتيح: القيروان، العقيدة السنية، المذهب المالكي، الأغالبة، العبيديون (الفاطميون)، السجال العقدي، ابن أبي زيد القيرواني

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تعتبر القيروان منذ تأسيسها على يد عقبة بن نافع بوابة نحو المغرب الإسلامي الكبير، وهي نقطة ارتكاز الفتوحات الإسلامية وانطلاقها في اتجاه مختلف مناطق المغربين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلس. وقد اتخذها الأمويون من خلال بعثاتهم مركزا لنشر العقيدة الصحيحة ذات المرجعية السنية في مواجهة مختلف العقائد الشاذة التي تسللت إلى هذا القطر من العالم الإسلامي، كالمذهب الخارجي الذي تبنته الدولة الرستمية، والمذهب الاعتزالي الذي تبنته الدولة الأغلبية، والمذهب الرافضي الذي تبنته الدولة العبيدية. وقد كان لعلماء القيروان السنة دور كبير في مدافعة هذه النحل عن طريق الحوار الفكري العلمي الدقيق المؤسس على قواعد التناظر والكتابات المعيارية الدقيقة.

وتعد مدرسة القيروان قبلة لكل من يطلب العلم حينها، كما أنها واحدة من أهم المراكز العلمية في الغرب الإسلامي، يقول عبد الواحد المراكشي: "وكانت القيروان هذه في قديم الزمان دار العلم بالمغرب؛ إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم. وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين، كتبًا مشهورة؛ ككتاب أبي محمد بن عفيف، وكتاب ابن زيادة الله الطُّبْني، وغيرهما من الكتب"[1] يؤكد هذا النص التاريخي أن القيروان كانت حاضرة علمية تشد إليها الرحال من كل حدب وصوب.

وممن تشتد العناية إلى ذكرهم ممن مثلوا العقيدة السنية الأصيلة أحسن تمثيل في مدرسة القيروان الإمام ابن أبي زيد القيرواني، في جملة من كتبه التي تصدى لها معاصروه ومن جاؤوا بعده بالشرح والتوسع في معانيها، وتجلية غوامضها، والكشف عن دررها.

إذ بحسب حسبانه على المذهب المالكي – ذي المنزع السني الصرف، الذي لم يتلبس في عقيدته بما تلبست به مذاهب أخرى كالخارجية والشيعة وغيرها — فقد صاغ أركان العقيدة في كتابه الرسالة صياغة نبيهة جمعت بين مزية الاختصار، وبين جزالة اللفظ والمعنى، والإجمال والوجازة، حيث فتح الباب للشراح للاستزادة فيها، وتفريع معانيها، والتنبيه على الداخل بالأصالة من المسكوت عنه فيها.

ولئن جنح بعض شراح الرسالة بعض الجنوح بما تكلفوه من محاولة حشو قضايا أشعرية على طريقة أهل المشرق في هذه الشروح، إلا أنه عند التحقيق والتدقيق واستحضار السياق التاريخي لزمن الرسالة يتأكد أن ابن أبي زيد رحمه الله إنما قصد إلى مخالفة سلفه أبي الحسن الأشعري قصدا، في تنبيه منه لأهل الغرب الإسلامي بأن النمط المشرقي في عرض القضايا العقدية ووضعها ليس أهلا بالاتباع. ولا تفسير لمخالفته لطريقة أبي الحسن الأشعري على الطريقة القديمة سوى أنه أرادها رسالة تقرع ناقوس التنبيه في آذان الناشئة، بل حتى في آذان المشتغلين بعلم العقيدة والتأليف فيه.

وبالإضافة إلى هذه التنبيهات فقد جاءت كتابات ابن أبي زيد في سياق مدافعة العبيديين، والتحذير من خطرهم سواء على مستوى العقيدة، أو على مستوى الفقه والسياسة الشرعية.

أولا: تأثر علماء السنة القيروانيين بعقيدة الإمام مالك

على الرغم من اعتقاد بعض الباحثين في هذا المجال أن علماء السنة المالكية بالقيروان هم جماعة من المتشددين الذين يعادون العلوم العقلية، وأنهم لا يقبلون غيرهم ممن يخالفهم في العقيدة من أصحاب الملل والنحل الأخرى من الخوارج والشيعة والمعتزلة، إلا أنه بعد التحقيق يتبين أن هؤلاء العلماء لم يقتصروا في أخذهم عن الإمام مالك وتلامذته على الفروع الفقهية فحسب، بل تجاوزوا

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين. لعبد الواحد المراكشي. تحقيق د. صلاح الدين الهواري. نشر المكتبة العصرية. ط 1. 2002. ص255

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ذلك إلى أخذ أصول الدين عنه منهجا وموضوعا. غير أن خوضهم في أصول الدين يخضع لرقابة صارمة، وذلك احتياطا للدين من أن يخوض في أصوله من ليس أهلا لذلك، وكذا سدا للذريعة على من ليس أهلا لتمثيل أهل السنة في محاورة ومناظرة أصحاب النحل المنحرفة. قال الإمام القاضي عياض: "كان ابن فروخ كتب إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم. فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعرجوا عليه فهذا لا بأس به. وأما غير ذلك فإنني أخاف أن تكلمهم فتخطئ، فيمضون على خطاك أو يظفروا منه بشيء، فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك."[1] ويستشف من هذا النص أن رد علماء السنة ومدافعتهم لمعتقدات أصحاب النحل والمذاهب الأخرى يخضع لتعليمات دقيقة من الإمام مالك نفسه، وأن المعنيين بذلك هم طائفة العلماء النظار الضابطين لقواعد المناظرة والحجاج. ولعل هذه الصرامة هي التي جعلت بعض النقاد والدارسين يصفونهم بالتعصب والتشدد، وهو وصف يفتقر إلى الدقة العلمية، وفهم السياقات والحيثيات كلها. كما هو الحال بالنسبة للدكتور محمود إسماعيل إذ يقول: "ولما كان المغاربة بما جبلوا عليه من التمسك بنصوص الشريعة، والميل أكثر إلى النقل أكثر من الرغبة في إعمال العقل..، على أن آفة المالكية في تعصبهم الشديد لمذهبهم، إذ أسرفوا في خلافهم ونزاعهم مع بقية أهل السنة..، ناهيك عن موقفهم المتطرف من أهل المذاهب الأخرى، كالخوارج والشيعة والمعتزلة"[2] وما أكثر من قال بمثل هذا الكلام الذي يخالف ما كان عليه واقع الأمر.

ثالثا: السجال العقدي في عصر الدولة الأغلبية بين علماء السنة وغيرهم

تعد دولة الأغالبة بغض النظر عن معتقدها الاعتزالي دولة إسلامية أسسها إبراهيم بن الأغلب في إفريقية (تونس)، سنة 800م. واتسع نفوذها بعد ذلك لتشمل المناطق المجاورة، وقد جلبت هذه الدولة للمنطقة مظاهر الحضارة ومبادئ التمدن التي عرفها المسلمون في الشرق. يقول مخلوف: "أدخل الأغالبة في الأقاليم الإفريقية جميع مبادئ التمدن الإسلامي التي كانت بالشام والعراق وأخذوا يقيمون في تونس والقيروان وطرابلس فامتلأت تلك المدن مباني أبدت للناظرين الأقواس المادة والدعامة المزخرفة على حسب مبنى العمارة الروماني وبنوا قناطر على مجاري سيول سريعة التيار واجتهدوا في إحياء العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة وأنشأوا مراكز تجارية سهّلت مخالطة سكان الصحراء بسكان السواحل"[3]

يعتبر العصر الأغلبي عصر جدال فكري عقدي بين أهل السنة والجماعة الآخذين بعقيدة الإمام مالك، وبين أتباع مذهب الاعتزال الذي تبنته الدولة تأسيا بخلفاء بني العباس في الشرق. وكانت تعقد بين الطرفين مناظرات ومكاتبات ومتابعات حول قضايا سبق وأن أثارت الكثير من الجدل والخلاف في الشرق، لتنتقل بعد ذلك إلى المغرب الإسلامي، وبخاصة في القيروان، كمسألة خلق القرآن، وإمكان رؤية الله في الآخرة، ومفهوم السنة والجماعة، ومفهوم البدعة، وحكم مرتكب الكبيرة..، إلى غير ذلك من القضايا العقدية التي شملها هذا السجال.

ففي مسألة خلق القرآن يقول القاضي عياض وهو يذكر مكانة أسد بن الفرات من العلم والفضل والسنة: "كان أسد ثقة لم يرم ببدعة، قال بكر بن حماد: قلت لسحنون: يقولون إن أسداً قال بخلق القرآن، فقال: والله ما قاله، قال داود بن يحيى: رأيت أسداً يعرض التفسير فتلا هذه الآية (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ١٢ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) طه 12-13. فقال أسد: ويح

---

[1] القاضي عيض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك. ج3. ص. 111/110.

[2] محمود إسماعيل. مغربيات. ص 58-59

[3] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت 1360هـ). علق عليه: عبد المجيد خيالي الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان. الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م. ج 2. ص 140.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق. إنني أنا الله."[1] ومعلوم أن هذه المسألة وغيرها من القضايا المثيرة للجدل في الشرق ألقت بظلالها على الدرس العقدي في القيروان. وقد كان ملوك الأغالبة يفسحون المجال للتناظر رغم أنهم يشعرون بالحرج والضيق من قوة وقدرة علماء السنة على الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بهمة عالية وضبط لقواعد الحوار والتناظر. ولا بد أن نشير هنا إلى أن سلاطين الدولة الأغلبية لايتسمون بسعة الصدر في كل المناظرات أو في كل الحوارات العقدية، وقد يصلون إلى حد التعصب ومعاقبة مخالفيهم، وقد نبه القاضي عياض إلى ذلك بقوله: "امتحن ابن معتب بعد هذا، على يد القاضي ابن عبدون، عدوه. وذلك أن ابن معتب كان لطيف المنزلة، سامي المكانة، يكتب إليه ابراهيم إلى أخي في الإسلام، وشقيقي في المحبة. فتلاحى مع ابن عبدون، ووثق بمكانته من الأمير. فخذله ومكر به ابن عبدون. فأدخل رجليه في فلقه وضربهما حتى أدماهما[2]. فكان أحمد بعد ذلك يقول: أرجو أن تكون هذه النازلة خيراً لي، إذ سلبت محبة ابراهيم بن الأغلب من قلبي"[3] وكان يذكر أن ابن عبدون هذا من كبار الكوفيين المتعصبين على المؤمنين، فامتحن على يديه جماعة من أهل السنة والجماعة من المالكية وغيرهم، وقتل بعضهم، وعذب البعض الآخر، ومنهم من تم ترحيله إلى العراق.

ولم تكن باقي القضايا العقدية أقل حدة في إطار الجدال والتدافع العقدي في عصر الدولة الأغلبية، ومن ذلك قضية رؤية الله في الآخرة التي يقول بها أهل السنة والجماعة، ويرفضها أهل الاعتزال، قال القاضي عياض في إشارة إلى أسد بن الفرات وما حصل له مع القاضي سليمان بن البراء المعتزلي حول رؤية الله جل وعز: "كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. وسليمان حاضر، فقال: من الانتظار، يا أبا عبد الله. فأخذ أسد بتلابيبه ونعلاً غليظة بيده الأخرى."[4] ويظهر من هذه النصوص أن لجوء الأغالبة إلى أسلوب الترهيب والتعنيف لفرض كان الغرض منه إخضاع علماء القيروان السنة، وإرغامهم على ترك مذهبهم السني، وبالتالي يسهل عليهم إخضاع أتباعهم من عامة الناس؛ أي إخضاع الخاصة بغرض إخضاع العامة. وكانوا يتخذون كل وسيلة يرون فيها إخضاع العامة لمعتقداتهم، ومن ذلك إصدار منشورات تتضمن شعاراتهم ويوزعونها على الناس، وكانوا يكتبون عبارة (القرآن مخلوق على أبواب المساجد). وكان هذا الترهيب سببا في فرار بعض علماء السنة بدينهم، كالفقيه المالكي الكبير ابن المواز (ت269هـ)، الذي رحل إلى الشام فلزم حصنا إلى أن مات. وبعضهم نكل به ضربا وتطويفا؛ كالإمام المالكي الكبير سحنون (ت240هـ). قال القاضي عياض: "قال غير واحد من العلماء بالأثر: كان سحنون قد حضر جنازة. فتقدم ابن أبي الجواد، الذي كان قاضياً قبله. وكان يذهب إلى رأي الكوفيين، ويقول بالمخلوق. فصلى عليها. فرجع سحنون ولم يصل خلفه، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله. فأمر بأن يوجه إلى عامل القيروان، يضرب سحنون خمسمائة سوط. ويحلق رأسه ولحيته. فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد. فأمر الوزير أن يتوقف، ولطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة، وقد نام. فقال له ما شيء يلغني في كذا. قال: لا تفعل. فإن العكي إنما هلك في ضربه للبهلول بن راشد. فقال: وهذا مثل البهلول. قال: نعم. وقد حبست البريد شفقة على الأمير. فشكره، ولم ينفذ أمره."[5] وكل هذه الأساليب لم تصمد أمام إصرار وقوة أهل الحق من السنة والجماعة في الدفاع عن عقيدتهم الصافية الصحيحة بأساليب علمية دقيقة وحوارات ومناظرات تحترم الضوابط والقواعد، وتعتمد الحجة والبرهان والقدرة على الاستدلال. هذا

---

[1] القاضي عياض. ترتيب المدارك. ج3. ص 301

[2] قال القاضي عياض وهو يذكر ندم ابن الأغلب بعد موت ابن معتب: ولما مات ابن معتب وشهد الناس جنازته، وباتوا على قبره، نظر ابن الأغلب ليلة إلى من على قبره من الناس وكثرة الشيوخ، وقال لابن عبدون: هذا الذي كنت تهون أمره عندي. أنظر ما عاقبة أمره. ترتيب المدارك ج 4 ص 356

[3] نفسه. ج4. ص 356

[4] نفسه. ج 3 ص 302

[5] القاضي عياض. ترتيب المدارك. ج4. ص. 69-70

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إلى جانب باقي القضايا العقدية التي يطول المقام بذكرها كمفهوم السنة والجماعة، ومفهوم البدعة، وهل الإنسان مؤمن عند ربه أم عند نفسه؟ وهل يكفر القائل بخلق القرآن، أو يبدع مع بقائه في دائرة الإيمان؟ وهل تمنع الصلاة خلف المخالفين عقيدة عن تكفير أم تبديع؟ وحكم مرتكب كبيرة ما دون الشرك. وهي القضايا التي تعطينا الصورة الكاملة لحجم وطبيعة الصراع العقدي الذي ميز هذه المرحلة في القيروان.

ثالثا: لمحة عن السجال والمراجعات العقدية بين أهل السنة وغيرهم في عصر الدولة العبيدية.

استطاع العبيديون (الفاطميون) إنهاء حكم الأغالبة بعد حرب طويلة امتدت لسنوات، وساعدهم على ذلك استياء العامة من ظلم الأغالبة الذي لم يعد يطيقه أهل إفريقية، وكذا انغماس رجال دولتهم في الترف والانحراف. وكان ذلك آخر القرن الثالث الهجري. يقول ابن خلكان: "وكان ابتداء الدولة العبيدية بإفريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين، وأول من ظهر منهم المهدي أبو محمد عبيد الله وبنى المهدية وملك إفريقية كلها"[1] ولما كانت كل دولة تدين بالإسلام لابد لها من شرعية دينية؛ فقهية وعقدية تؤسس عليها أمور الولاء والبيعة، وبها تتحدد أركان الدولة وهويتها، فقد اختار العبيديون عقيدة ومذهبا مغايرين كليا لما كان عليه الأمر لدا الأغالبة قبلهم. حيث تبنت هذه الدولة الجديدة عقيدة الشيعة الروافض، وتحديدا المذهب الشيعي الإسماعيلي. وكانوا يدعون أن نسبهم يرجع إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إن اختيار الدولة العبيدية للعقيدة الشيعية يعني بالضرورة استمرار السجال والصراع العقدي، بل قد يكون أكثر حدة لتباعد الهوة بين العقائد الشيعية والعقائد السنية، ولأن الاعتزال أقرب إلى السنة من التشيع. وهكذا بدأت سجالات ومراجعات ومرافعات عقدية مختلفة عن سابقتها، لكنها لا تقل حدة عنها، بين أهل السنة والجماعة وخاصة المالكية منهم، وبين خصومهم من ذوي النحل المشرقية الشاذة الممثلة هذه المرة في التشيع وما يرتبط بأحكام الإمامة الكبرى والسياسة الشرعية. ووجد السنيون أنفسهم أمام خصم مذهبي جديد تبنته الدولة بكل أركانها بشكل رسمي، وسخرت لذلك دعاة وعلماء وقضاة يسهرون على فرضه على الناس وإخضاعهم له بقوة. وهذا الصراع يرجع في المقام الأول إلى الخلاف العقدي العميق بين المذهبين في باب الإمامة خاصة. إلا أن من الباحثين من يضيف عاملا آخر لهذا الصراع، وهو العامل الاقتصادي؛ بدعوى أن العبيديين فرضوا المغارم المالية على علماء السنة لزعمهم أنهم اغتنوا في فترة الحكم الأغلبي، وذلك بهدف إضعافهم. وقد شكك الدكتور محمد جمال[2] في صحة هذا الأمر، حيث يقول في عرض ما أسماه بالمغالطة: "فقد تكلف هؤلاء بأن تأولوا سجال المالكية ومعارضتهم لبني عبيد على أنه يرجع في المقام الأول إلى أسباب اقتصادية، خلاصتها: أن المالكية شكلوا منذ عصر الأغالبة طبقة بورجوازية في المدن وأرستقراطية في البوادي، حتى إذا آلت مقاليد الحكم لبني عبيد فرضوا عليهم جبايات ومغارم كبيرة، وهو ما اضطرهم لمعارضتهم والثورة ضدهم دفاعا عن مكتسباتهم السابقة ووضعهم الطبقي داخل المجتمع"[3] وقد ذكر غير واحد أن العبيديين حاولوا أن يخففوا من أخذ الجبايات والمغارم على الناس على عكس ما كان عليه الأغالبة الذين كانوا لا يكتفون بأموال الزكاة والجزية. وهو ما يؤكده أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي (ت 695هـ) وهو يذكر سنة دخول أبي عبد الداعي الشيعي مدينتي بالرمة وطبنة، حيث وجد فيهما جباة يعملون لصالح الأغالبة

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ.) المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر – بيروت. ط1. 1994م. ج 7. ص 158

[2] الدكتور محمد جمال أستاذ العقيدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال. جامعة السلطان مولاي سليمان. وهو أستاذ متخصص له باع طويل في علوم العقيدة تدريسا و تأليفا.

[3] د. محمد جمال. جهود مالكية المغرب الكبير في علم أصول العقيدة، منهجا وموضوعا، وفي محاربة التشريق من خلال برهانية السلاجي (ت564هـ) بشرح أبي بكر الخفاف. ص 61

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وسألهم عن مصدر الجبايات التي وجدها في أيديهم، ولم يقبل منهم إلا ما كان خاضعا في جمعه لضوابط الكتاب والسنة، ففرح الناس بذلك كثيرا وتحدثوا به، قال: "وفي هذه السنة تغلب أبو عبد الله الداعي على مدينة بالرمة وعلى مدينة طبنة، ودخلهما بالأمان في أخر ذي الحجة، وبها أبو المقارع حسن بن أحمد والي زيادة الله وعامله عليهما مع صاحبيه المذكورين قبل هذا. وكان بهما جباة على ضروب المغارم، فأتوه بما في أيديهم من الجباية، فقال لأحدهم: من أين جمعتم هذا المال؟ فقالوا له: من العشر فقال عبد الله: إنما العشر حبوب وهذا عين، ثم قال لقوم من ثقاة طبنة: اذهبوا بهذا المال فليرد على كل رجل ما أخذ منه، وأعلموا الناس أنهم أمناء على ما يخرج الله من أرضهم، وسنة العشر معروفة في أخذه وتفرقته وعلى ما ينصه كتاب الله عز وجل."[1] وهذا النص يبين بما لايدع مجالا للشك أن الصراع القائم بين أهل السنة والجماعة وبين أمراء الدولة العبيدية وأتباعهم كان صراعا عقديا بالأساس. ولا بد أن أنشير هنا إلى أن طبيعة هذا الصراع وقضاياه مختلفة كليا عما كان عليه الأمر زمن الأغالبة، والسبب في ذلك راجع إلى تمذهب الفاطميين بالمذهب الشيعي، وكان من الطبيعي أن تختلف تبعا لذلك قضايا الصراع والخلاف والسجال. ذلك أن العبيديين يقولون بأن الإمامة وراثية لا شورية، وأن عليا بن أبي طالب معصوم، وهو أولى بالخلافة من غيره، وأن الأئمة معصومون تبعا لذلك، وأفعالهم مقدسة.

هذا ورغم تعاقب دولة الأغالبة ودولة العبيديين على إفريقية فقد بقيت عقيدة عموم الناس فيها عقيدة سنية خالية من شوائب الاعتزال والتشيع، مما يجلي بحق الجهد الكبير الذي بذله علماء السنة المالكية في حث الناس على التمسك بهذه العقيدة السليمة تعليما وتدرسا وتأليفا. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

[1] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي. ج1. ص 141.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/